من تراب الطريق!

(٦٣٧) ماذا حدث للمصريين..*!

فى أقل من أسبوع، قرأت فى الصحف أنباء عدة كوارث ترتد بنا إلى حضيض بلا أخلاق، وأدنى من الحيوانات، وأبشع من الوحوش فى الغابات. لم أصدق عينىَّ وأنا أقرأ فى صحف السبت ١٢ يناير، أن هناك من حاول اغتصاب أخته، فلما قاومته ودافعت عن عرضها من أن ينتهكه شقيقها ابن أمها وأبيها، قتلها .. فى لحظات واحدة ارتكب هذا المجرم جريمتين بشعتين فى حق أخته، وبدلًا من أن تفيقه مدافعتها عن عرضها، ويرتد آسفًا نادمًا على محاولته البشعة اغتصابها، اغتال روحها وأنهى حياتها ذبحًا بسكين كما تذبح النعاج !

طفقت أتأمل كيف تركنا التربية والتأديب، وحشرنا الفقراء حشرًا فى العشوائيات والمقابر حتى غلبت الحيوانية مع تلاحم الأنفاس والتصاق الأجساد المكدسة، وانفجر زنى المحارم بينما نحن مشغولون بشكليات وتوافه لا ترتقى إلى جوهر الدين، وتفشت هذه المحرمات حتى لم يعد هذا الجانح يحس بما فى اشتهائه شقيقته من إثم، وما فى رغبته مضاجعتها من وضاعة، وما فى محاولته اغتصابها كرهًا من انفلات وحشى وحقارة متدنية، ثم تتعانق

(*) المال ٢٠١٣/١/٢٩

الشهوة مع الحيوانية مع الشر، فتتيبس كل ينابيع الرحمة التى جفت أصلًا، وتهون روح الأخت على أخيها، فيغتالها ذبحًا دون أن تزعجه أو ترده الدماء التى تفجرت منها وجعلت تجرى أمامه !!

لم أكد أفيق من هذه المأساة، حتى طالعتنى صحف الخميس ١٧ يناير، بمأساتين أخريين، ستة ذئاب ـ وقد تغضب الذئاب من هذا التشبيه ـ يختطفون سيدة من زوجها أثناء سيرهما فى الطريق العام، ويأخذونها ومعها طفلتها بنت الثلاث سنوات، تحت تهديد الأسلحة النارية والبيضاء، والزوج مغلوب على أمره، تختطف زوجته وطفلته أمام ناظريه اختطافًا ينذر بما سوف يكون ولا يملك الرجل أن يدرأ عن عرضه، ولا أن يحمى زوجته وطفلته، فتختطفان أمام عينيه وعجزه، إلى حيث يتناوب هؤلاء الوحوش اغتصاب الزوجة أمام طفلتها التى لم ينقطع صراخها وهى لا تدرى ماذا يفعل هؤلاء بأمها وهى تقاوم وتسترحم دون جدوى !

وتحت الخبر، بذات الجريدة، عم يغوى بنت أخيه، ويعاشرها ويغريها ويساعدها على الهرب من أبيها .. أخيه، فلا يجد الأب المكلوم إلاّ أن يقبل بالفضيحة، ويحمل عاره ونكبته فى ابنته وطعنته من أخيه، ليبلغ الشرطة التى تفاجأ بعد الضبط، بأن الابنة تعترف دون حياء بأنها بالفعل تعاشر عمّها ـ وبرضاها ـ معاشرة الأزواج !!!

وصباح اليوم التالى، الجمعة ١٨/ ١ ـ طالعنى مانشيت :

« العامل وابنه اغتصبا هاربتين من جحيم زوجة أبيهما بأبو النمرس .. المجنى عليهما صبيتان طالبتان عمرهما ١٣ سنة، ١٤ سنة، هربتا من سوء معاملة زوجة أبيهما وتحريضها إياه على القسوة عليهما، فتلقفهما العامل الذى

كان يجلس بجوارهما بالقطار المتجه من المنيا للقاهرة ـ فأظهر لهما الأبوّة والتعاطف مع قصتهما، فاطمأنتا إليه، وزين لهما الإقامة مع أسرته بأبى النمرس، ولكن بعد أيام إذ بنظراته تتغير، وتصرخ بشهوة لا تتفق مع الأبوّة التى أبداها فى البداية، فلما تأبتا عليه ، ولم تتجاوبا معه ، إذ بالوديع يتحول إلى وحش ، ويستعين بابنه ليغتصباهما معًا ، فأفلتتا هربًا إلى حيث أبلغتا مركز شرطة أبو النمرس ، فتم القبض عليهما ، ولاذا بالإنكار ، وأمرت النيابة بعرض الصبيتين على الطب الشرعى !

وظنى أن هذه الجريمة الأخيرة ، بدأت فى بيت الأب بمحافظة المنيا ، حين شغله الزواج الثانى عن واجب الرحمة والفهم ورعاية بنتيه من زواجه السابق رعاية حانية متفهمة فى هذه السن الحرجة ، فأخطأتا التقدير حين اعتقدتا أن حل مشكلتهما مع زوجة الأب والأب الذى سايرها ، فى أن تهربا.. دون أن تدركا أنه هروب إلى مجهول قد يكون أشد قسوة ووطأة وخطرًا ، فى عالم نضب فيه الخير ، وانصرف الناس عن القيم الحقيقية للدين ، وتسللت الشرور وغلبت الانتهازية ، وانطلقت الغرائز . لم يتسع وقت أو قلب الأب لاحتضان ابنتيه وتبصيرهما بالحياة ، فوقعتا ضحية فى أول منعطف لمخادع زين لهما أبوّة كاذبة وهو يضمر اغتنام الفرصة لاغتصابهما ، وقد للأسف كان!!

ماذا حدث للمصريين ؟!

هذه المآسى الأربع تجمع بينها خيوط تردها إلى أسباب واحدة ، يتجلى فيها انفلات الغرائز ، وضياع روابط القربى ، ووهن القيم الأخلاقية والإنسانية إلى حد مخيف ! متى حدث هذا ، وما هى الظروف التى أدت إلى

هذه الأسقام التى ضربت الأسرة والإنسان ... فى الوقائع الأربع يطل علينا الاغتصاب ، ولكنه ليس اغتصابًا وكفى ، فقد تردى فى إحداها إلى اشتهاء الأخ أخته ثم قتلها إزاء امتناعها ، وتردى فى أخرى إلى معاشرة ابنة الأخ ، وسقط فى ثالثة إلى اختطاف زوجة من زوجها فى الطريق العام ، وإتيان ستة لها كرهًا واغتصابًا تحت نظر وصرخات طفلتها ، وتردت الرابعة إلى اغتيال قيم الضيافة والرحمة بالصغار واشترك أب وابنه معًا فى واقعة الاغتصاب ، بلا أى حاجز يدعو الأب لأن يكون قدوة لابنه ، لا أن يتجرد أمامه من كل القيم بل ويحرضه ويشجعه ويستعين به ليكون طرفًا ضالعًا شريكًا معه فى انحطاط لا يقيم وزنًا لأى اعتبار من الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية !!

علينا أن نستقصى وندرس ونحلل ونتعرف على أسباب هذا التفكك والانفلات والانهيار والجهالة ، وأن نبحث فى الجذور التى أدت إلى هذه التراكمات ، ما بين الفقر والجهل وانعدام التربية وضحالة الثقافة وتلوث البيئة بأسقام عدة أحلت القسوة والعنف والبلطجة وجففت ينابيع التراحم والأخلاق ، وعصفت بوجوب التزام الأدب والترفع عن العيب !! من العيب أن تستشرى بيننا هذه الأسقام فيصرفنا التبلد عن التفطن إلى مآسيها التى تحمل نذر ضرب مصر فى قلبها !!!